التعويض والتقويض

حسن أبو يوسف اللويشي

55

حسن أبو يوسف اللويتي

التعويض والتقويض ..

ثمة فكرة تسعى القوى الامبريالية الى تجسيدها وتكريسها وجعلها قاعدة دولية معترفاً بها تقول (أن الاستعمار لاثأر عليه) وهى فكرة تأتي انسجاماً مع مصالح القوى الامبريالية. وتتوافق مع منطقها التوسعى.. وهو الأمر الذى يجر العالم برمته إلى الهاوية..

ان الاستعمار كظاهرة سياسية وإقتصادية وإجتماعية هى ظاهرة خطيرة ليست مرتبطة بمرحلة معينة أو بمكان ما أو بزمان بعينه بل انها ظاهرة ترتبط بمعطيات ظرفية متى توافرت تكررت الظاهرة الاستعمارية.. تماما مثلما هو الحال في الظواهر الطبيعية..

ان الظاهرة الاستعمارية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالفراغ.. لدرجة يمكن القول عنها ان الفراغ هو الاساس في ظهور الاستعمار.. ذلك أن الفراغ يغرى بالاستعمار وان وجود استعمار في اى مكان يعنى بالضرورة وجود حالة من الفراغ وهذا ما شهدناه طيلة الفترات التاريخية..

ففى الشطر الأخير من القرن التاسع عشر شهدنا في افريقيا وآسيا حركة توسع استعمارى أوربى مذهلة . . اذ انه في بضعة عقود من السنين وقع ثلاثة اخماس الأراضى اليابسة من الكرة الأرضية تحت سيطرة أوربا المباشرة . . وظاهرة الاستعمار ظاهرة متأصلة لاترتبط بزمان مابقدر ماهى قابلة للتكرار متى توافرت معطياتها واسبابها فمنذ اقدم العصور وطوال مسيرة التاريخ ظهرت امبراطوريات عدة على حساب استعمار شعوب أخرى . .

ان التوسع الاستعمارى ومجابهة الدول العظمى في فترات تاريخية عدة سعيا وراء مناطق النفوذ لايمكن تفسيرها الابحالة الفراغ التى كانت تغرى تلك القوى باستعمار مناطق أخرى . . وظاهرة إستعمار الدول الأوربية لقارات افريقيا وآسيا وامريكا اللاتينية كثيراً ماترتبط في الاذهان بالتقدم الحضارى المادى الصناعى الغربى المدهش الباحث عن دوائر نفوذ واللاهث وراء ايجاد اسواق للمواد الأولية ولاستثمار رؤوس اموالها هناك . . غير ان ذلك ما كان ليحدث لو ان تلك القارات ما كانت تعاني من حالة فراغ وجب سدها من

قبل الدول الاستعمارية بعد ان عجزت شعوب تلك القارات عن القيام بدورها خير قيام لاستغلال موادها وخيراتها . . . وفيما لو ان شعوب تلك القارات استطاعت ذلك . . لما حدثت ظاهرة الاستعمار الاوربى لها في القرن التاسع عشر والقرن العشرين والمتواصل إلى يومنا هذا . أن ذلك سيخلق حالة تصادمية لانعدام حالة الفراغ أصلا الأمر الذى يؤدى إلى تبديد احلام المستعمرين وتطلعاتهم . . اذ ان غياب الفراغ يفشل الاستعمار ويحول دون وقوعه.. انمصطلح «الاستعمار» في حد ذاته لايخرج عن كونه خدعة ابتدعتها القوى الامبريالية كى تظهر نفسها على غير حقيقتها وقد انطلت تلك الخدعة على شعوب كثيرة مقترنه في اذهانها بالإعمار والبناء وحتى صور الاستقلال الصورية التى منحت لتلك الشعوب في صورة علم وحكومة هى في حقيقة الامر لعبة استعمارية لاتقل عن سابقتها قصد ابقاء تلك الشعوب في حالة نفسية مهيئة لتقبل الاستعمار من جديد وهو امر طالما سجلته لنا احداث التاريخ في انقلابات افريقيا وآسيا وامريكا اللاتنية التى عادة مايتم التخطيط لها في واشنطن أو لندن أو باريس

وغيرها من عواصم الغرب . . باعتبار تلك المناطق تابعة للغرب سياسياً وإقتصاديا وثقافياً كنتيجة لحالة الفراغ التى لازالت تعيش فيها شعوب تلك القارات . .

انه بقدر إرتباط ظاهرة الاستعمار بحالة الفراغ فاءن اثارها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية بالغة مادياً وبشرياً دفعت ثمنها الشعوب الضعيفة والقى بها في اتون صراعات دولية بين القوى الكبرى راح ضحيتها الملايين من الابرياء .. وفي كل مرة اصبحت اراضى تلك الشعوب ساحات يترجم فوقها الاقوياء صراعهم . . في حين تتحول تلك الشعوب إلى طعم لآلة حرب الاقوياء . . ويكفى ان نقول انه في الحرب العالمية الأولى التى استمرت اربع سنوات وخمسة عشرة اسبوعا وجندت لها عساكر وصل تعدادها إلى خمسة وستين مليون مقاتل . . خسرت فيها الشعوب الملايين من الأموال . . وبلغ عدد القتلى فيها إلى ثمانية ونصف مليون قتيل . . علاوة على المجروحين والمفقودين الذين قدروا بتسعة وعشرين مليوناً . .

. أما مايسمى بالحرب العالمية الثانية والتى اتخذت من اراضى الشعوب الصغيرة مسرحا لها فقد شملت تسعا وخمسين دولة وتواصلت ستاً من السنين . . لقى فيها خمسة مليون حتفهم اضافة إلى ثمانين مليون بين جريح ومفقود ومشرد ومعتوه . . واهدرت فيها أموال قدرت بالف وثلاثمائة وأربعة وثمانين مليون دولار . .

ان الحرب شى مكروه ممقوت يرتبط في الاذهان بحالات الدمار والاستنزاف البشرى والمادى . . وبقدر ما هى كذلك فإنها ترتبط بظاهرة الاستعمار الذى يعنى ايضا الدمار مادياً وبشرياً . . ولقد حلمت البشرية منذ القديم بعالم أمن ومسالم دون ان تجد إلى ذلك طريقا ودون ان تجد حداً لجنون الدول الاستعمارية والقوى الامبريالية الذى فاق كل تصور . . فأضحى عالمها عالماً يسوده قانون الغاب ويحتكم إلى قانون القوة ويلتهم فيه القوى الضعيف ويسخره دون رادع . . فضاعت احلام البشرية وآمالها وسط عالم يبنى علاقاته الدولية على اسس ظالمة سياسياً وإقتصادياً واجتماعياً . . وإذا كانت البشرية قد رأت بصيصاً من الأمل

في السلام بظهور المنظمات الدولية فإن ذلك ليست سوى سراباً .. لسبب بسيط جداً وهو ان تلك المنظمات هى منظمات الأقوياء يقيمونها ليفسدونها .. فأصبحت عديمة الجدوى .. يتحكم فيها الأقوياء ويتخذون منها وسيلة لتحقيق مصالحهم . .

ان الابقاء على الاسس الدولية الظالمة يعنى بالضرورة انهيار البشرية ووصولها إلى دركات الغوغائية والوحشية وأن عدم وضع حد لغطرسة الاقوياء وعنجهيتهم يعنى ان يبقى العالم عالماً للاقوياء فقط . . ولذا فاءنه ليس ثمة من سبيل امام البشرية لتحقيق احلامها وأمالها في عالم جديد يعمه الأمن والسلام الاالكفاح من اجل تقويض الاسس الدولية الظالمة وبناء قواعد دولية سلمية وعادلة على انقاضها . . لعل ابرزها إجبار المستعمر علىدفع ثمن استعماره حتى لايتكرر الاستعمار ولاتتكرر احداث تاريخ البشرية المأساوية . .

ان الأحداث التاريخية تسجل لنا أن الاقوياء انفسهم قد فرضوا شروطاً انتقامية وتأديبية على دول اعتبروها

السبب الرئيسى في افساد النظام الدولى وحملوها مسئوولية ذلك . . دون ان يريدوا من وراء سن قاعدة دولية جديدة تدفع الدول الاستعمارية إلى دفع ثمن اعمالها وجرائمها . .

ففى مؤتمر الصلح من العام 1919 م بباريس العاصمة الفرنسية في اعقاب الحرب العالمية الأولى تم توقيع معاهدة (فرساى) على المانيا على اعتبار انها المسؤلة عن تلك الحرب حيث فرضت فيها شروطا انتقامية وتأديبية.. كانت مسألة التعويضات عن آثار الحرب اشدها واقساها . . فقد القيت على المانيا تبعة كل ماسببته الحرب من خسائر واضرار مادية وبشرية . . واجبرت المانيا على دفع تعويضات عن كل ماسببته من تدمير للكثير من السفن والمنشأت والمدن . . والاكثر من ذلك انها اجبرت على دفع تعويضات إلى اهالى الجنود الذين قتلوا في الحرب تم اعدادهم في احصاءات طويلة . . كما اعطيت فرنسا حق الاستفادة من مناجم الفحم في وادى السار لمدة زمنية مقدارها خمسة عشر عاما تعويضاً عما سببته لها آلة الحرب الالمانية من تدمير في منشأتها ومناجمها ومواردها . .

وفي اتفاقية لكمسبرج في سبتمبر من العام 1952 م . .
اجبرت المانيا ايضا على دفع تعويضات لليهود تصل إلى الف وخمسمائة مليون دولار . . كنتيجة لما قام به الفوهرر (هتلر) زعيم الحزب الاشتراكى الوطنى (الحزب النـازى) من اعمال حرق اليهود الذين رأى فيهم اليد الخفية في تخريب الاقتصاد الالمانى والجيش الالمانى وشئوون المانيا الداخلية والخارجية . . ان مسألة التعويضات هذه تخدم كسابقه دولية يجب ان تكافح الشعوب من اجل جعلها قاعدة دولية جديدة ان هى ارادت ان تعيش بسلام . . وهو الامر الذى يحول دون تكرار الاستعمار ثانية ودون أن تتكرر مأساة البشرية مرة أخرى . .

وثورة الفاتح من سبمتبر العظيمة عندما تطرح مسألة التعويضات فانما تطرحها من منطلق فكرها الثورى الانسانى الذى استوعب كافة التجارب الكفاحية وصولا إلى مجتمعات انسانية عادلة ومجتمع دولى يعيش بسلام وبحرية وفي سعادة وهو امر لايمكن للعقليات الحكومية الاستعمارية قبوله البتة بوصفه يهدم كل احلامها في الاستبداد والسيطرة

والاستعباد وبناء الامبراطوريات والامجاد الزائفة على حساب الشعوب الصغيرة .. وفي الـوقت ذاته فاءن الافكار الثورية الجديدة التى جاءت بها ثورة الفاتح من سبتمبر العظمية تعد تدميراً لكل القوانين الدولية الظالمة التى يتخذ منها الغزاة مبرراً ومستنداً لتكبيل الشعوب الضعيفة وقهرها بمعاهدات غير متكافئة .. وفيما لو افاقت تلك الشعوب بفعل الافكار الثورية الجديدة على الحقائق التى تقول ان التسليم بسيطرة القوى على الضعيف سواء داخل نطاق الأفراد أوعلى المستوىالدولى والعالمىسابقة خطيرةوانجراراً وراء قاعدة ظالمة لاينبغى لها ان تسود .. وان أى تواجد أجنبى وأى وضع مصطنع ماهو الاشكل من اشكال الاستعباد ويعد تناقضا صارخا مع ابسط مقومات الحرية ويعد ايضا امتهانا لكرامة وآدمية الانسان .. وفيما لو افاقت الشعوب لذلك فأنه يعنى بداية العد التنازلى لتقويض دعائم الاستعمار وتسفيه مبرراته ولهذا فإن القوى الامبريالية تعمل بشتى الطرق مسخرة في ذلك أبواقها الاعلامية ودوائرها

الرسمية وعملاءها قصد التعتيم على الأفكار الثورية الجماهيرية الجديدة وتشويهها وتقديمها على غير حقيقتها وكنهها .

وعندما طرح قائد الثورة مسألة التعويض عن جرائم الاستعمار الايطالى في ليبيا .. لجعله مبدأ وقاعدة حتى لايتكرر الاستعمار .. اقامت القوى الامبريالية الدنيا ولم تقعدها لانها رأت في ذلك ضرباً لمصالحها وتناقضا مع منطقها التوسعى الامبريالى .. بل ان الامر تطور إلى حد شن حملة اعلامية وسياسية امبريالية واسعة النطاق وعلى كافة المستويات للنيل من التوجهات الانسانية لثورة الفاتح من سبتمبر العظمية .. وكالعادة فاءن تلك الحملات عمات على جعل قضية التعويضات قضية ليبية ايطالية قصد محاصرة الأفكار الثورية وتقزيمها للحيلولة دون انتشار مثل هذه المطالب العادلة دولياً وعالمياً .. وقد تناولت الصحف الايطالية مسألة التعويض باءيعازات امبريالية .. فعلقت صحيفة الكوريبرى ديلاسيرا على ذلك بتوضيح مفاده

ان عواقب خطاب العقيد القذافي في 7 اكتوبر ستؤثر على العلاقات الايطاليه الليبية وخاصة ان حكومة روما كما يبدو

لاتنوى مناقشة قضية التعويضات وان ايطاليا تصر على التمسك بمبدأ انه لاتوجد هناك قاعدة أو قانون دولى معترف به يقضى بأن تقوم دولة كانت تستعمر في السابق بدفع تعويضات . .

وقد ركزت معظم حملات الصحف والابواق الامبريالية على اختلاق مسببات تكمن وراء مطلب الشعب العربي الليبيى العادل بتعويضة عن الاضرار التى لحقت به من جراء الاستعمار الايطالى الفاسيشتى . . فذكرت ان انخفاض العوائد النفطية الليبية ومسألة الديون المستحقة على ليبيا للشركات الايطالية وقضية الصواريخ ذات الرؤوس النووية في قاعدة كوميزو بجزيرة صقلية . . كلها أسباب تقف وراء ذلك . . متناسية ان مسألة التعويض تم طرحها قبل ذلك كله وان ليس ثمة رابط يربط بين ماذكر وبين مبدأ حضارى جديد هو مبدأ التعويض . . وان مبدأ التعويض ليس شئيا يخص الليبين وحدهم كما تحاول الوسائل الامبريالية تصويره وتسعى وراء اصطناع مسببات غير منطقية له . .

ان الشى الذى ازعج القوى الامبريالية واقض مضجعها هو سقوط حساباتها التى تبنيها على اعتقادها بأنه لن تجرؤ شعوب الأرض باجمعها على محاسبتها عن جرائمها وأثارها وان العالم باسره لن يصل إلى مرحلة يجرؤ فيها شعب كان مستعمراً للمطالبة بحقه الانسانى العادل في تعويضة عما لحق به من خسائر . .

ان غطرسة القوة والغرور وغياب القانون الدولى العادل والسليم هى التى دفعت الامبرياليين الاستعماريين إلى ارتكاب ما ارتكبوه واقتراف ما اقترفوه .. وهى وحدها اسباب مازالت تقدم تفسيراً حقيقياً ومنطقياً لاستمرار الدول الاستعمارية والامبريالية في حملات النهب والقتل والتشريد لشعوب الأرض .. ومن هنا تصبح قضية الوجود الانساني من عدمه مرتبطة بضرورة وجود حضارة انسانية بمعناها الحقيقى وقانون دولى جديد سليم وعادل بمضامين انسانية ، وهما امران مرتبطان اساساً بوجوب انتهاء كافة اشكال الاستعمار ورموزه وقواعده . وشركاته وعساكره واحتكاراته وامتيازاته كضمان وحيد واكيد لنهاية المسلسل

البشرى الذى صنعه الامبرياليون الاستعماريون في عالمنا .. وتبقى قضية تقديم التعويض العادل كشرط اساسى مطلبا هاما ذا صفة حضارية يجب العمل على تحقيقه وتقنينه لصيانة حضارة الانسان ووجوده فوق الأرض ..

ان مبدأ التعويض يعد رادعاً ضد ان تتكرر المأساة الانسانية بفعل القوى الاستعمارية والامبريالية .. ويعد تقويضاً لاحلام الغزاة واساليبهم ودعائمهم وتطلعاتهم الاستعمارية .. لذا فإن كفاح الشعوب وفاعلياتها يجب ان تتجه نحو جعل مبدأ التعويض قاعدة قانونية دولية تحول دون تكرر الظاهرة الاستعمارية وتقوض كل ما بناه الاستعمار من مخططات وما نسجه من مؤامرات في حق الشعوب ..

سلسلة تعميمات حركة اللجان الثورية

شعبة المنهج و التعميمات

مكتب الاتصال باللجان الثورية

طرابلس الجماهيرية

